# المنهج الواقعي

## I-الواقعية كمنهج لتحليل وتفسير العلاقات الدولية

الواقعية(realism) او ما يعرف بالواقعيّة السياسية، هي وجهة نظر للسياسة الدولية تؤكد على جانبها التنافسي والصراعي. وعادة ما تتعارض الواقعية مع المثالية (idealism) أو الليبرالية، والتي تميل إلى التأكيد على التعاون. حيث يرى الواقعيون أن الدول هي الفاعل الرئيسي في الساحة الدولية، حيث تهتم هذه الدول بالدرجة الأولى بأمنها، وتعمل جاهدة من أجل تحقيق مصالحها الوطنية الخاصة، والصراع على السلطة. غالبا مايعتمد الوافعيون على الجانب السلبي لاستعمال القوة والمصلحة الذاتية من خلال تشكيكهم بما يتعلق بعلاقة المعايير الأخلاقية بالعلاقات بين الدول. لان السياسة الدولية، هي نطاق للممارسات غير العادلة وتتميز العلاقات بالصراع القائم أو المحتمل بين الدول.

ومع ذلك، لا ينكر جميع الواقعيون وجود الأخلاق في العلاقات الدولية. حيث يجب التمييز بين الواقعية الكلاسيكيّة والواقعية الجديدة -التي يمثلها منظرو القرن العشرين مثل رينهولد وهانس مورغنثاو. على الرغم من تأكيد الواقعية الكلاسيكية على مفهوم المصلحة الوطنية، فهي ليست كالعقيدة الميكافيليّة التي ترى بان " كل شيء يُبرر بمنطق الدولة، لا يستلزم الامر وجود الحرب أو الصراع. فالواقعيون الكلاسيكيون أيضا لا يرفضون إمكانية الحكم الأخلاقي في السياسة الدولية، بدلا من ذلك، هم ينتقدون الأخلاقوية – والذي يقصد به الخطاب الأخلاقي المجرد الذي لا يأخذ في الاعتبار الحقائق السياسية-. إنهم يعطون قيمة عليا للعمل السياسي الناجح القائم على القدرة على الحكم الصحيح لفعل معين من بين البدائل الممكنة على أساس عواقبه السياسية المحتملة.

تتضمن الواقعية كمنهج مجموعة متنوعة من المقاربات وتدعي تمتعها بتقاليد نظرية عريقة. من بين الآباء المؤسسين، ثوسيديديس ومكيافيلي وهوبز، وهي الأسماء الأكثر ذكرا وروجا. إلا أنه تم استبدال الواقعّية الكلاسيكية في القرن العشرين إلى حد كبير بالواقعية الجديدة، وهي محاولة لبناء نهج أكثر علمية لدراسة العلاقات الدولية. حيث تعرضت كل من الواقعية الكلاسيكيّة والواقعية الجديدة للنقد من منظري العلاقات الدولية الذين يمثلون وجهات النظر الليبرالية والنقدية وما بعد الحداثة.

## II- خصائص عامة للواقعية في العلاقات الدولية

1-يؤكد الواقعيون في العلاقات الدولية على القيود التي تفرضها الطبيعة البشرية على السياسة، والتي يعتبرونها أنانية، كما يؤكدون على غياب حكومة دولية. تساهم هذه العوامل مجتمعة في وضع نموذج للعلاقات الدوليّة قائم على الصراع، تكون فيه الجهات الفاعلة الرئيسية هي الدول، حيث **تصبح القوة والأمن القضيتين الرئيسيتين، ولا مكان للأخلاق فيها**. إن مجموعة الأسس المتعلقة بالدولة، والأنانية، والفوضوية، والقوة، والأمن، والأخلاق هي التي تحدد التقاليد الواقعية، وكلها وردت في أعمال ثوسيديديس.

2-الطبيعة البشرية هي منطلق الواقعية السياسية الكلاسيكية. ينظر الواقعيون إلى البشر على أنهم أنانيون وانتهازيون بطبيعتهم إلى درجة تتجاوز فيها المصلحة الذاتية المبادئ الأخلاقيّة.

3-الواقعيون، وخاصة الواقعيون الجدد اليوم، يعتبرون غياب الحكومة، حرفيا الأناركية (اللاسلطوية)، هو المحدد الأساسي لنتائج السياسة الدولية. ويجادل هؤلاء بأن عدم وجود سلطة مشتركة لوضع القواعد وتنفيذها هذا يؤدي الى نشاءة ساحة دولية تعمل بنظام المساعدة الذاتية. أي ان كل دولة مسؤولة عن بقائها ولها الحرية في تحديد مصالحها والسعي وراء زيادة القوة. وبالتالي تؤدي الأناركية إلى وضع تكون فيه للقوة الدور المهيمن في تشكيل العلاقات بين الدول.

4-بقدر ما يتصور الواقعيون أن عالم الدول الأناركي/اللاسلطوي، فإنهم ينظرون إلى الأمن باعتباره قضية مركزية و لتحقيق الأمن، تحاول كل الدول زيادة قوتها والانخراط في موازنة القوى بغرض ردع المعتدين المحتملين وكذلك تخوض الحروب لمنع الدول المتنافسة من أن تصبح أقوى عسكريا.

5-يشكك الواقعيون عموما في علاقة الأخلاق بالسياسة الدولية وهذا يمكن أن يدفعهم إلى الادعاء بأنه لا مكان للأخلاق في العلاقات الدوليّة، أو بادعائهم بوجود توتر بين متطلبات الأخلاق ومتطلبات العمل السياسي الناجح، أو بأن الدول لديها أخلاقها الخاصة التي تختلف عن الأخلاق العرفية، أو أن الأخلاق، إذا ما تم استخدامها على الإطلاق، لا تُستخدم إلا بطريقة آلية لتبرير سلوك الدول كما انهم يساوون صراحة بين الحق والقوة، واستبعاد اعتبارات العدالة من الشؤون الخارجية .

## III- أهم الانتقادات الموجهة للواقعية الجديدة

ان السمة المتغيرة والتحذيرية لـ الواقعية من العواقب المؤسفة وغير المقصودة للجدل القائم حول الواقعية الجديدة هو نعرضها للنقد بسبب عدم قدرة الواقعية الجديدة للوصول لنظرية لتفسير السياسات الدولية، كما أدى التفسير الواقعي إلى تقسيم حقل العلاقات الدولية إلى أجزاء غير متوافقة. في حين أن الواقعية الكلاسيكية كانت نظريته تهدف إلى دعم الممارسة الدبلوماسية وتوفير دليل يتبعه أولئك الذين يسعون إلى فهم التهديدات المحتملة والتعامل معها، فإن نظريات اليوم، المعنية بمختلف الصور والمشاريع الكبرى، غير مناسبة لأداء هذه المهمة.

ربما يكون هذا هو السبب الرئيسي لوجود اهتمام متجدد بالواقعية الكلاسيكية، وخاصة بأفكار مورغنثاو. بدلا من أن ينظر إليه باعتباره شكلا قد عفا عليه الزمن من الفكر الواقعي ما قبل العلمي، والذي حل محله نظرية الواقعية الجديدة، يعتبر تفكير مورغنثاو الآن أكثر تركيبا وملائمة للواقع المعاصر مما كان عليه سابقا. وفي السنوات الأخيرة، شكك العلماء في المعتقدات السائدة حول وجود تقاليد نظرية واضحة في حقل العلاقات الدوليّة وأصبح ثوسيديديس ومكيافيلي وهوبز وغيرهم من المفكرين عرضة لإعادة النظر كوسيلة لتحدي الاستخدامات السائدة لتراثهم في هذا الحقل المعرفي واستكشاف انساب واتجاهات أخرى كما خضع مورغنثاو لعملية إعادة تفسير مماثلة فيما بعد على يد عدد من العلماء بالتشكيك في أهمية فكر مورغنثاو كمصدر لتعيير عن التفسير المعياري للواقعية من خلال كشف ادعاءات السلطة بتحليها بالصدق والأخلاق وكذلك تعزيز القيم الأخلاقية العالمية، بينما يفترض مورغنثاو أن الدول هي جهات فاعلة ساعية نحو القوة، فإنه في نفس الوقت يقر بأن السياسة الدولية ستكون أكثر ضررا مما هي عليه في الواقع لولا القيود الأخلاقيّة في عمل القانون الدولي.

## IV- آليات تطوير تفسير الواقعية للعلاقات الدولية

*- من بين آليات تطوير نظرية تفسير الواقعية للعلاقات الدولية يقدمها عمل روبرت غيلبين حيث يرى بان العامل الأساسي لتطور العلاقات الدولية هو "الحرب والتغير في السياسة العالمية". لان هذا العمل يمكنه أن يكتسب قدرا أكبر من الأهمية في علم العلاقات الدولية، بدلا من الانخراط في مناقشات نظرية غير مثمرة، ولكننا مستعدين بشكل أفضل اليوم "للتحولات السريعة في موازين القوة والتغير الجيوسياسي"لأننا أصبحنا اليوم قادرين اكثر على شرح أسباب الحروب الكبرى وفترات السلام الطويلة، ونشوء وزوال الأنظمة الدوليّة.

*- ما يزال يوجد سبيل آخر لتطوير نظرية واقعية للعلاقات الدولية توفره تطبيقات الاكتشافات العلمية الجديدة على العلوم الاجتماعية. والدليل على ذلك، على سبيل المثال، العمل الأخير لألكسندر ويندت، "العقل الكمي والعلوم الاجتماعية". يمكن أن يعتمد نهج واقعي جديد للسياسة الدولية على النظرة العضوية والشاملة للعالم المنبثقة من نظرية الكم، وفكرة التطور البشري، والوعي المتزايد لدور البشر في العملية التطورية وبالتالي، فإن الواقعية هي أكثر من مجرد نظرية جامدة وغير أخلاقية فهي منهج لتفسير تطور العلاقات الدولية ، ولا يمكن استيعابها فقط في إطار التفسير الوضعي للعلاقات الدولية و إنها كنهج عملي ومتطور يعتمد على الظروف التاريخية والسياسية الفعالة، ويتم الحكم عليه في النهاية من خلال معاييره الأخلاقية و وجودها في

اتخاذ قرارات سياسية حكيمة حيث تؤدي الواقعية أيضا دورا تحذيريا مفيدا. لإنها تحذرنا من التقدمية والأخلاقوية والقانونية والتوجهات الأخرى التي تفقد اتصالها بواقع المصلحة الذاتية والقوة ومن هذا المنظور، يمكن أيضا تفسير المنظور الواقعي الجديد في السبعينيات على أنه حركة تصحيحية ضرورية للإيمان الليبرالي المفرط في التعاون الدولي والتغيير الناتج عن الاعتماد المتبادل.

**الخاتمة**

ومع ذلك، عندما تصبح الواقعية مشروعا عقائديا، تفشل في أداء وظيفتها المناسبة. فمن خلال البقاء عالقة في "نموذج" نظري يتمحور حول الدولة او نموذج مبسط بشكل مفرط كالواقعية الجديدة ومن خلال إنكار إمكانية حدوث أي تقدم في العلاقات بين الدول، فإن الواقعية تتحول إلى أيديولوجية. كما يمكن إساءة استخدام تأكيدها على كل من سياسة القوة والمصلحة الوطنية لتبرير العدوان ولذلك يتعين أن تحل محلها نظريات تأخذ في الاعتبار بشكل أفضل الواقع المتغير للسياسة العالمية ولابد من إضافة معايير إيجابية إلى وظيفتها السلبية والتحذيرية. حيث تستمد هذه المعايير من العقلانية التي أكد عليها الواقعيون الكلاسيكيون؛ ومن خلال رؤية التعددية والقانون الدولي والمجتمع الدولي الذي يؤكد عليه الليبراليون وأعضاء المدرسة الإنجليزية؛ ومن قيم التضامن العالمي الذي يدعو إليه العديد من كتاب اليوم.